

ملخص المحاضرة : هشام جعيط ورهانات العودة إلى التاريخ المؤسس

د. محمد الخراط / صفاقس

هشام جعيط مفكر ومؤرخ تونسي ومن أشهر الشخصيات المعاصرة في مقاربة الثقافة العربية الإسلامية ، وهو مفكر ذو مرجعية إصلاحية تنويرية معنى بتحسس مظاهر التمزق التي يعاني منها الوعي الجمعي بين شؤون الدين وشؤون الدنيا ، بين القدم والحداثة . عمل هشام جعيط على تحليل طبيعة المجتمع العربي المعاصر والشخصية القاعدية للفرد قبل أن ينصرف إلى التاريخ المؤسس ، رحم التمهصلات الكبرى في الذاكرة والتاريخ . وتوقف جعيط بأناة المفكر الحصيف عند أبعاد التجربة التراجيدية للفتنة الكبرى ميرزا قوة رجع الصدى الذي تركته هذه الحادثة / المحنة في أعماق الشخصية الإسلامية ديننا وسياسة ومجتمعنا وأخلاقا وأقام الدليل على أن السلطة تؤول لمن يحسن أخذها وعلى أن المواجهات العسكرية لا يحكمها العدة والعتاد بقدر ما يحكمها معيار التوازنات القبلية والأعراف المطمورة خلف حوادث التاريخ . من جهة أخرى برهن جعيط على أهمية البناء العقلاني للثقافة الإسلامية من خلال دراسته للكوفة كمدينة إسلامية ذات خصوصية معمارية راقية ومتفردة في إطار مساجلته لبعض المستشرقين ، ثم عاد إلى التجربة النبوية يسبر أغوارها في طورها المكبي والمدني ليبحث من خلالها عن التاريخي والتخييلي ويفصل بين الواقع والتمثل عدته في ذلك آراء المستشرقين من جهة وتبنيه لبعض النظريات الفلسفية والمستجدات المنهجية الحديثة من أجل فهم أفضل للذات والآخر . إن الناظر في مجموع أعمال هشام جعيط يقدر للرجل جهده الفلسفي الدال على درجة عالية من شقاء الوعي العربي وعلى تأمل نقدي عميق لأبعاد حيرة الفرد العربي ومحاولة في الفهم بعيدة عن الإسقاط والتضخيم وخطاب التبجيل الذي لا يجدي في البحث العلمي نفعاً. وإن نبشه في التاريخ المؤسس هو عرض للماضي البعيد ، ماضي الحدث التدشيني وما تلاه من الحن ، بمبضع النقد والتمحيص مع الاهتمام بتحديد الفاعلين الأصليين في الحدث والنظر في أبعاد الاختيارات العقائدية والسياسية على مصير أمة برمتها مازالت آثارها بادية للعيان في الآن والهنأ . مع ذلك فنبشه في التاريخ المؤسس لم يخل من بعض المواقف التي تحتاج إلى نقاش ومراجعة وإلى جدل حقيقي بشأن قضايا جوهرية من قبيل الأدوات المناسبة لمعالجة المتن القرآني والتجربة المحمدية وخصوصية المناهج الموظفة في مقاربة التراث الإسلامي ومراكز الاختيار في التنظيم الحدتي والبنية السردية التفسيرية للتاريخ ورهانات التشريح المجهري للذاكرة والضمير .